﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المرسَلات: 25 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

توسيعُ البرهانِ بعدَ خَلْقِ الإنسانِ بآيةِ تسخيرِ الأكوانِ

لمّا أبان الله سبحانه عن قدرته في خلق الإنسان من ماءٍ مهين؛ أتبع ذلك بآيةٍ أوسَعَ في الآفاق تملأ العقولَ يقينًا وتزيد القلوبَ تسليمًا؛ فذكَّر بأنَّه جَعَلَ الأرض كفاتًا للأحياء والأموات، وبالجبال الرَّواسي والماء الفُرات؛ ليشهد الكونُ كلُّه أنَّ القادرَ على التَّقدير في الكبيرِ والصَّغير، هو وحده المستحقُّ للتَّصديق والتَّوقير[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كِفَاتًا﴾: الكَفْتُ: القبض والجمع، تقول: كَفَتُّ الشَّيء أكْفِتُه كَفْتًا؛ إذا ضَمَمْتَهُ إلى نفسِكَ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾، أي: تجمع النّاس أحياءَهم وأمواتهم[2]، وقال الفرّاء: يريد تَكْفِتُهم أحياءً على ظهرها في دورِهم ومنازلهم، وتكْفِتُهم أمواتًا في بَطْنها، أي: تحفظهم وتحرِزُهم[3].

والكَفْتُ: السَّوق الشَّديد، واستعمالُ الكَفْتِ في سَوْقِ الإبل كاستعمال القَبْضِ فيه، ويقال: كفته الله، أي: قبضَهُ الله تَعالى، وكل شيءٍ ضَمَمْتَهُ إليكَ، فقد كَفَتَّهُ[4].

2) ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾: أصل (شمخ) يَدُلُّ عَلى تَعَظُّمٍ وارتِفاعٍ[5]، يُقال:

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 174.
(2) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (كفت).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (كفت)، والبغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 306.
(4) الرّاغب، المفردات، والأزهري، تهذيب اللُّغة: (كفت).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شمخ).

شَمَخَ فلانٌ بأنْفِهِ، وشمخَ أنفُه ليَ؛ إذا رفع رأسَه عِزًّا وكِبْرًا، وقد شَمَخَ شُموخًا، والجمع: شَوامِخُ، وشَمَخَ الرَّجل بأنفِهِ: تكبَّر[1]، ومِن هذا قيل للمتكَبِّر: شامِخٌ وشمّاخٌ، وقد شَمَخ الجبلُ، فهو شامِخٌ، أي: طويلٌ في السَّماء[2]، وقول الله ﷻ: ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾، أي: عاليات مُرْتَفعات[3].

3) ﴿فُرَاتًا﴾: أصلُ (فرت) يدلُّ على الماء الفُرات، وهوَ العَذْبُ[4]، يقال: ماء فراتٌ ومياه فراتٌ، فيُقال للواحد والجمع، وقد فرُت الماءُ يَفْرُت فُروتَةً؛ إذا عذُب، فهو فراتٌ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يزال الله ﷻ يذكِّرنا في هذا البيان القرآنيِّ بنِعَمِه الوفيرة علينا مستخدمًا في ذلك أسلوبَ الاستفهام؛ لإفادة التَّقرير بهذه النِّعم العظيمة الَّتي تتمثَّل في جعله الأرض ضامَّةً وجامعةً لَمَن على ظهرها من الأحياء الَّذين لا يُعَدّون، ولمن في بطنها من الأموات الَّذين لا يُحْصَون، وفي تثبيتها كذلك بالجبال المرتفعات العاليات؛ لئلّا تميدَ، وتضطربَ بأهلها، وفي تسخيره لنا الماءَ العذبَ الفرات من السَّحاب، وممّا أنْبَعَهُ سبحانه من عيونِ الأرض، ومع هذه النِّعم كلِّها الدّالَّة على عظمة الخالق سبحانه، فإنَّ هناك من النّاس مَنْ يكذِّب بها، ويَجْحَدُها، ومِن ثمَّ كان لهُ الهلاك والعذاب الشَّديد في الآخرة[6].

نِعَمُ الله تَعالى على عبادِه لا تُحَدُّ، والمكذِّبون بها في خيبةٍ وعذابٍ مُمْتَدٍّ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّة فصْلِ الآيات عَن سابِقَتِها:

قولُهُ تَعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ تقريرٌ جاءَ "على سَنَن

تكرير للتَّقرير تقريعًا، وتوبيخًا للمكذِّبين وتشنيعًا

(1) الجوهريُّ، الصِّحاح، والسّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (شمخ).
(2) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح: (شمخ).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (شمخ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فرت).
(5) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والأزهري، تهذيب اللُّغة: (فرت).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 304، والمجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، تفسير المنتخب، ص: 875.

سابقيهِ في عدَمِ العَطْفِ؛ لأنَّه على طريقَةِ التَّكرير للتَّوبيخ، وهو تقريرٌ لَهُم بما أنعم اللّه به عليهم مِن خلْقِ الأرض لهم بما فيها ممّا فيه منافِعُهم، كما قال تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النّازعات: 33]"[1].

نوعُ الاستفهامِ وغَرَضُه في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾:

تقرير لانتزاع الاعتراف بقُدْرَةِ خفيّ الألطاف

الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؛ للاستفهام الإنكاريّ التَّقريريّ[2]، أي: قد جعلناها كافِتَةً[3]، يعني: "موضعًا يضمُّ أحياءً كثيرةً على ظهره، وأمواتًا غير محصورةٍ في بطنه، فالأحياء يَسكنون في منازلهم، والأموات يُدفنون في قبورهِم"[4].

وفي هذا الاستفهام "نوعٌ مِن التَّوبيخ للمكذِّبين باللّه ورسله والإيمان وبالبعث والحساب"[5]، فكأنَّه قيل: "أليس مِن نِعَمِ اللّه على خَلْقه أن جَعَلَ الأرضَ تَضُمُّهم إليها حالةَ كونهم أحياءً وأمواتًا؟"[6]؛ ولذلك "هدَّد بالوَيْلِ على تكذيبِهم وكُفْرانِهم بها؛ تعريضًا بأنَّهم قابَلوا تلك النِّعمَ الموجِبةَ للشُّكر بالكُفر والعصيان، وتخويفًا لهم بسوءِ عاقِبَةِ صَنيعِهم هذا يوم الحسابِ والجزاءِ"[7].

سرُّ تأخير الكلام عن الأرضِ على الكلام عَن خَلْقِ البَشَر:

عرَّفهم بالنِّعم النَّفسيَّة؛ لأنَّها كالأصلِ للنِّعم الآفاقيَّة

قُدِّم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ على قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؛ لأنَّه "لمّا ذكر إفناء الأوَّلين والآخِرين؛ ذكر، ووقَّف على أصلِ الخِلْقَة التي يقتضي النُّظر فيها تجويزَ البعث"[8].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 432.
(2) ثناء الله المظهريُّ، التَّفسير المظهريُّ: 10/ 166، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 338.
(3) المنتجَب الهمذانيُّ، الكتاب الفريد: 6/ 312.
(4) الجاويُّ، مراح لبيد: 2/ 593.
(5) محمَّد الهلال، الثَّريُّ الجامع: 12/ 234.
(6) حجازيٌّ، التَّفسير الواضح: 3/ 806.
(7) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 460.
(8) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 376.

وأمّا قوله تعالى هاهنا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ إلى آخر آياتِ هذا المقطع؛ فإنَّه يُعَدُّ نوعًا "مِن تخويف الكُفّار، وذلك لأنَّه ذكَّرهم بالنِّعم التي له عليهم في الأنفُس، وفي هذه الآية ذكَّرهم بالنِّعم التي له عليهم في الآفاق، ثمَّ قال في آخر الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، والسَّبب فيه أنَّ النِّعم كلَّما كانت أكثر؛ كانت الجنايَةُ أقبحَ، فكان استحقاقُ الذَّمّ عاجلًا والعقابِ آجلًا أشدَّ، وإنَّما قدَّم تلك الآيةَ على هذه الآيةِ؛ لأنَّ النِّعمَ التي في الأنفُس كالأصل للنِّعم التي في الآفاق، فإنَّه لولا الحياةُ والسَّمع والبصر والأعضاء السَّليمةُ؛ لما كان الانتفاعُ بشيءٍ مِن المخلوق ممكنًا"[1].

فالحاصل أنَّه "عرَّفهم أوَّلًا نِعَمَه الأنفُسيَّة؛ لأنَّها كالأصل، ثمَّ أتْبعها النِّعم الآفاقيَّة"[2]، فإنَّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ هو "مشهَدٌ آخَرُ مِن مشاهد قدرة الخالق ﷻ، فإذا عَميَت بعضُ البصائر عن أن ترى مسيرة هذه النُّطفة الصَّغيرة، وأن تَشْهَد ما انطوت عليه مِن حياة، وما تفجَّر منها مِن مخلوقاتٍ؛ فإنَّها تستطيع أن تَنْظُر إلى كائنٍ آخَرَ، أكبَرَ حجمًا مِن هذه النُّطفةِ.

إنَّه الأرض! الأرض كلُّها بما على ظهرها، وما في بطنها، فماذا يُرى مِن هذه الأرض ظاهرًا أو باطنًا؟ إنَّها النُّطفةُ مكبَّرةً! إنَّها حياة وموتٌ في وقت معًا.. إنَّها حياة منطلقة مِن مواتٍ، ومواتٌ يتخلَّف مِن حياة.. إنَّها رحم كبير، يتفتَّح لنُطَف الماء الذي يتحلَّب عليه مِن السَّحاب، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحجّ: 5]"[3].

معنى التَّعريف ودلالتُه في ﴿ٱلْأَرْضَ﴾:

التَّعريفُ في الأرض يراد به الجنسُ، والمراد: جميعُ بقاعِ الأرض،

منَّة عظيمَةٌ، ونِعْمَةٌ جسيمَة

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 772.
(2) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 285.
(3) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1400.

فلمّا أُريد بها الجمعُ؛ نُعِتَت بالجمع[1]، فقال سُبْحانَهُ: ﴿كِفَاتًا﴾، وهو جمع (كافتة)، وفيه امتنان عظيم على الخَلْق بأن ذلَّل لهم ربُّهم الأرضَ كلَّها تكفتهم أحياءً وأمواتًا.

سرُّ تقديمِ ذِكر الأرض على الجبالِ والماء:

يحسُن في باب الامتنان التَّذكيرُ بما هو قريبٌ ودانٍ

قُدِّم الامتنانُ بنعمة الأرضِ على الامتنان بنعمة الجبال والماء؛ "لأنَّ أقرب الأشياء إلينا مِن الأمور الخارجيَّة هو الأرض"[2]، وممّا يحسُن في باب الامتنانِ المرادِ به التَّقريرُ ونزعُ الاعترافِ أن يُبتَدَأ بالنِّعم القريبة الدّانية، فالمنَّة بها أخصُّ.

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿كِفَاتًا﴾ و﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾:

نكاتُ البلاغةِ تتوارَدُ ولا تتزاحَمُ

يجوزُ في تنكير ﴿كِفَاتًا﴾ و﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ أكثرُ مِن معنى:

الأوَّل: التَّفخيم، "كأنَّه قيل: تكفت أحياءً لا يُعَدّون، وأمواتًا لا يُحصَرون، على أنَّ أحياء الإنسِ وأمواتَهُم ليسوا بجميعِ الأحياء والأموات"[3].

والثّاني: التَّبعيض؛ "لأنَّ أحياءَ الإنسِ وأمواتَهُم ليسوا بجميع الأحياء ولا الأموات"[4]، "فإنَّ الأحياء والأموات مطلقًا غير منحصرةٍ في أحياءِ الإنس وأمواتِهم؛ لأنَّ بعض الحيوان يكفِتُه الهواء، وبعضَهُ الآخر يكفِتُه الماء، فالأرض كفاتٌ لبَعْضِ الحيوان الذي هو أحياءُ الإنسِ وأمواتُهُم"[5]، "ولا ينافي ذلك التَّفخيم؛ نظرًا إلى أنَّه بعضٌ غير محصور، كثيرٌ في نفسه"[6].

والثّالث: "التَّكثير، أي: أحياء وأمواتًا لا تُعَدُّ، ولا تحصى"[7]، وهذا مترتِّب على الأوَّل الذي هو التَّفخيم.

---

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 162.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 772.
(3) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 679 - 680.
(4) ابن عادل، اللُّباب: 20/ 76.
(5) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 459.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 193.
(7) الشِّهاب الخفاجيُّ، عناية القاضي: 8/ 297.

علَّة فصْلِ قولِه تعالى: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ عن سابِقِهِ، وبيانُ أوجُه نَصْبِهما:

تعدُّد الأعاريب مِن صوَرِ بلاغة النَّظْمِ العجيبِ

أمّا نصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾؛ ففيه وجوهٌ[1]، وبيانُها أنَّه يجوز نَصْبُهما "بنفس كفات على أنَّهما مفعولان، على معنى: كافتةً أحياءً وأمواتًا، وإن شئت؛ أبْدَلْتَهما منها، كأنَّه قيل: ألم نجعل الأرض أحياءً وأمواتًا؟ وإن شئتَ جَعَلْتَهُما حالَيْنِ؛ إمّا مِن معمول الكِفات، كأنَّه قيل: كافتة الخلق أو النّاس أحياءً أو أمواتًا، أو تكفِتُكُم أحياءً وأمواتًا، وإمّا مِن الأرض، أي: منها كذا، ومنها كذا، والمراد: ما ينبت مِن الأرض وما لا ينبت؛ لأنَّ حياة الأرض بالنَّبات، وموتها بالخراب والجفاف، وإن شئت نَصَبْتَهُما بنفس الجَعْلِ على أنَّه مفعول ثانٍ له، على معنى: جعلنا بعضَ الأرض أحياءً بالنَّبات، وبعضَها أمواتًا بالخراب والجفافِ، و﴿كِفَاتًا﴾ على هذا حالٌ مِن الأرض، أي: في حالِ كَوْنِها ضامَّة جامعة للخَلْق، وتكون الحالُ مقدَّرة"[2].

وعلى ما تقدَّم مِن أوجه النَّصبِ؛ تَظْهَرُ علَّة الفَصْلِ بين هذه الآيَةِ وسابِقَتِها.

بلاغة الطِّباق بين ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾:

النّاس إمّا أحياء في الـدّور، وإمّا أمواتٌ في القبور

بين لفظ ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ طباقُ إيجابٍ أفضى إلى استيعابِ التَّقسيم، فالنّاس إمّا حيٌّ وإمّا ميّت، ولا ثالثَ لهما، "والأرض تكفت الأحياء على ظَهْرِها، وتكفت الأموات في بطنها"[3]، "ففائدةُ ذِكْرِ هذَيْن الجمعَيْن ما في معنيَيْهما مِن التَّذكير بالحياة والموت"[4].

والمعنى: "ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائِكم وأمواتكم، تكْفِت أحياءَكُم في المساكن والمنازل، فتضمُّهم فيها، وتجمعهم، وأمواتَكم

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 3/ 224، والنَّحّاس، إعراب القرآن: 5/ 75، والعُكبريُّ، التِّبيان: 2/ 1264.
(2) المنتجَب الهمذانيُّ، الكتاب الفريد: 6/ 313.
(3) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 419.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 433.

في بطونها في القبور، فيُدفَنون فيها"[1]؛ "ولهذا كانوا يُسَمّون الأرض أُمًّا؛ لأنَّها في ضمّها للنّاس كالأُمّ التي تضمُّ ولدَها، وتكفله، ولمّا كانوا يُضَمّون إليها؛ جُعِلت كأنَّها تضُمُّهم"[2].

بلاغةُ التَّتميم والإدماجِ في قولِه: ﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾:

تُحاصِرُهُم الآياتُ والبراهينُ، ولا يزالون بالبَعْثِ مكذِّبينَ

سيقت هذه الآيةُ مساق الامتنان على المخاطَبين بهذه النِّعم؛ حَمْلًا لهم على الإقرار بها، والاعتراف بقدرة المُنعِم الجليل على الخَلْق والإيجاد والتَّقدير وفق ما اقتَضَتْهُ حِكْمَتُه، ومَن كان هذا فعلَه؛ كان محالًا أن يَخْلُق عبثًا، أو أن يَتْرُك خلْقَه سُدًى، فيؤول ذلك إلى الاعتراف بالبعث والحساب والجزاء.

"ومحلُّ الامتنان هو قوله: ﴿أَحۡيَآءٗ﴾، وأمّا قوله: ﴿وَأَمۡوَٰتٗا﴾؛ فتتميمٌ وإدماجٌ ... لأنَّ فيه مشاهدةَ الملازمة بين الأحياء والأموات تدلُّ على أنَّ الحياة هي المقصود مِن الخِلقة، وهذا تقرير لهم بالاعتراف بالأحوال المشاهَدة في الأرض الدّالَّة على تفرُّد الله تعالى بالإلهيَّة"[3].

دلالة المقاطع السّابقة على إمكان البعث بشواهِدِه:

تكاثرت أدلَّة إثباتِ البَعْثِ والجزاء، وأعين المكذِّبين عنها في عَماءٍ

الآياتُ مِن قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ إلى هاهنا قد تصدَّت؛ "لإثبات البَعْثِ بشواهدَ ثلاثةٍ: أحدها: بحالِ الأُمَم البائدة في انقراضها. الثّاني: بحال تكوين الإنسان. الثّالث: مصير الكلِّ إلى الأرض.

وفي كلِّ ذلك إبطالٌ لإحالتهم وقوعَ البَعْثِ؛ لأنَّهم زَعَموا استحالتَه، فأُبطِلت دعواهم بإثبات إمكان البعث، فإنَّه إذْ ثبت الإمكانُ؛ بطلَت الاستحالة، فلمْ يبقَ إلّا النَّظر في أدلَّة ترجيح وقوع

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 133.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 773.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 432 - 433.

ذلك الممكن"[1]. ومِن هنا حسُن أن يُختَم كلُّ مقطَع منها بقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ لأنَّه "تكرير للتَّوبيخ والتَّقريع على جُحودهم لنِعَم الله التي يرونها بأعينهم، ويحسّونها بحواسِّهم، ويستعملونها لمنفعَتِهم"[2].

فائدة ذِكر (أمْواتًا) بعد قوله: ﴿كِفَاتًا﴾:

أصلُ الكَفْت في لسانِ العربِ: الضَّمُّ، "ومعنى الكفات هاهنا: هو أنَّ الأرض تضمُّ الخَلْق أحياءً وأمواتًا، فالضَّمُّ في حال الحياة هو باكتِنانِهم واستقرارهم على ظَهرها، وبعد الممات باكتِنانهم في بطنِها، وهو القبورُ"[3]، "فكما أنَّ الدّور والقصور مِن نِعَم الله على عباده ومنَّته، فكذلك القبور: رحمةً في حقِّهم، وسترًا لهم عن كون أجسادهم باديةً للسِّباع وغيرها"[4].

مِن منَّة الله تَعالى على خلْقه في محياهم الدّورُ والقصورُ، وفي مماتِهم اللُّحودُ والقبورُ

كما أنَّ "في الآية امتنانًا يجعل الأرض صالحَةً لدفن الأموات، وقد ألْهَم الله لذلك ابنَ آدم حين قتل أخاه ..."[5].

معنى (الواو) ودلالَتُها:

الواو في ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ حرفُ عَطْفٍ، فالجملة معطوفةٌ على سابِقَتِها: ﴿نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا﴾[6]، ووُصِلَ بين الجملتَيْن؛ لِما بينهما من التَّوسُّطِ بين الكمالَيْن، وذلك لاتِّحادِهما في الخبريَّة؛ فإنَّ كَوْنَ قولِه تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ خبرًا ظاهرٌ، وأمّا قولُه: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا﴾؛ فإنَّه وإن كان استفهامًا في اللَّفْظِ، إلّا أنَّ معناه التقريرُ، والمعنى: قد جعلنا الأرض كفاتًا، كما أنَّ بين الجملَتين تناسُبًا في اللَّفظ والمعنى، فأمّا في

تَـغـدادُ النِّـعَـم وإبرازُ المِنَن

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 433.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 238.
(3) السَّمعانيُّ، تفسير القرآن: 6/ 129.
(4) السَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 904.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 433.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 338، ومحمود صافي، الجدول: 15/ 203.

اللَّفْظِ؛ فاتِّفاقُهما في الفِعْليَّةِ، واتِّحاد المسنَدِ والمسنَدِ إليهِ فيهما، وأمّا في المَعْنى؛ فلأنَّه في سياق تعديد النِّعم وإظهار المِنَن.

دلالَةُ التَّعبير بالماضي مُسنَدًا لنونِ العظَمَة: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

يفيد الماضي التَّحقيق، وهو بتوكيدِ المعنى حقيقٌ

أفاد التَّعبيرُ بالماضي معنى التَّحقيق، وهذا يشير إلى أنَّ منَّة الله تعالى بإرساء الجبال قد سَبَقَت خَلْق البشر على الأرض، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿۞قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فُصِّلت: 9 - 10]، أي: قد أعددْنا ذلك لكُم قبل أن نخلقكم، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون: 115].

ولمّا كان ذلك ممّا لا يقدِر عليه إلّا الله ﷻ، وكان السِّياق في إثباتِ قُدْرَته جلَّت عظمتُه؛ ناسب أن يُسنَد الفعل فيه إلى نون العظَمَة، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلْنَا﴾، "أي: بما لنا مِن القدرة التّامَّة"[1].

معنى (في) ودلالَتُها في قولِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾:

أوتادٌ في الأرض راسيات، وعلى قدرة الباري شاهداتٌ

الأصل في معنى (في) أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّةً أو زمانيَّة، حقيقيَّة أو مجازيَّة[2]، وهو هنا بمعنى الظَّرفيَّة الحقيقيَّة، فإنَّ الأرضَ وعاءٌ للجبال؛ إذ إنَّه "قد قُدِّر طول هذه الجبال داخل الأرض بأضعاف طولها فوقَ الأرضِ"[3].

نكتَةُ تقديم شبه الجملةِ على المفعول بهِ:

خُصَّت الأرض بنِعَمٍ كثيرَةٍ، وآلاءٍ وفيرَةٍ

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على المفعول به ﴿رَوَاسِيَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾؛ لأجل التَّخصيص امتنانًا بالنِّعمة، وليعود الضَّميرُ عليها مِن قريبٍ، بخلاف ما لو قيل:

(1) الشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 465.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 226، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 471، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 57.
(3) محمَّد الهلال، الثَّريُّ الجامع: 12/ 235.

وجعلنا رواسي شامخاتٍ فيها بعد قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾.

وأيضًا فإنَّ في التَّقديم اهتمامًا بالمقدَّم، وهو المناسب هنا؛ لأنَّ السِّياقَ سياقُ امتنان بنعمة الأرض وما فيها مِن سُبل تذليلِ عَيْشِ النّاس عليها.

نكتةُ تَنكير ﴿رَوَٰسِيَ﴾، ودلالَةُ وصْفِها بـ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾:

قوله تعالى: ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾، "يعني: الجبالَ، والرَّواسي: الثَّوابت، والشّامخات: الطّوال، ومنه يقال: شمخ بأنفه؛ إذا رفعه كِبرًا"[1]، والمعنى: "وجعلنا في الأرض جبالًا ثابتاتٍ فيها، باذخاتٍ شاهقاتٍ"[2]، "لولاها؛ لمادَت بأهلها، ومِن العجائب أنَّ مراسيَها مِن فوقها خلافًا لمراسي السُّفن، ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾، أي: هي مع كونِها ثوابتَ في أنفُسِها مثبِّتة لغيرها طوال جدًّا عظيمة الارتفاع، كأنَّها قد تكبرَّت على بقيَّة الأرض وعلى مَن يُريد صُعودَها"[3]، وهذا الارتفاعُ العظيم يدلُّ على عظمَةِ الخَلْق وإتقانه وإحكامه، ومِن ثمَّ على عظمَةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ.

شـامـخـاتٌ شـاهـقـاتٌ خَضَعَت لعظمة الله تَعالى

وأمّا التَّنكيرُ؛ ففيهِ وجْهانِ:

أحدُهما: أن يكون التَّنكيرُ "لإفادة التَّبعيض؛ لأنَّ في السَّماء جبالًا، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النّور: 43]"[4]، فيكون ذلك إشعارًا "بأنَّ فيها ما لم يُعرَف، ولم يُرَ"[5]، وذلك "كما في الأراضي التي لم تُعمَر والجزائر العامرة"[6]، "فأرض الله تعالى واسعة، وفيها ما لم يعلمْهُ إلّا الله ﷻ"[7].

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 162.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 135.
(3) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 175.
(4) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 680.
(5) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 276.
(6) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 297.
(7) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 194.

والآخَر: أن يكون التَّنكير للتَّفخيم[1]، وهذا واضح جليٌّ في سياق الامتنان، "والإشارة فيه إلى عظيمِ منَّته أنَّه لم يخسِفْ بكُم الأرض؛ وإن عَمِلتُم ما عَملتُم"[2].

ووصفُ جمعِ المذكّر بالجمعِ المؤنَّثِ لغيرِ العقلاءِ مُطَّردٌ في كلام العرب، ومِنْهُ قول الله تَعالى: ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة: 197][3].

سـرُّ إيثـار المغايـرة فـي التَّعبـير بين ﴿ٱلۡجِبَالُ﴾ فـي أوائـلِ السّـورةِ، و﴿رَوَاسِيَ﴾ هُنا:

إبــداعٌ واتِّـفـاقٌ مـعَ مـا يناسبُ السِّياق

أصل (جبل) يدلُّ على تجمُّع الشَّيء في ارتفاعٍ مع غِلَظ الهيئة[4]، "واعتُبِر معانيه، فاستُعير منه، واشتُقَّ منه بحَسَبِه، فقيل: فلان جبل لا يتزحزح؛ تصوُّرًا لمعنى الثَّبات فيه، وجَبَلَهُ الله على كذا: إشارة إلى ما رُكِّب فيه مِن الطَّبع الذي يأبى على النّاقل نقلُه، وفلان ذو جِبِلَّة، أي: غليظ الجِسم"[5].

أمّا الرُّسوُّ؛ فتدور معانيه حول الثَّبات مع التَّمكُّن[6]، "والرَّواسي: الجبال؛ لأنَّها رسَت، أي: ثبتَت"[7].

وأمّا الشُّموخُ؛ فتدور معانيهِ حول التَّعظُّم والارتفاع الخارق للأُفُقِ مع رُسوخِ الأصل[8].

فتحصَّل ممّا سبق أنَّ المعنى المحوريَّ في (جبل) هو التَّجمُّع والغِلَظ، والمعنى المركزيُّ في (رسو) هو الثَّبات والتَّمكُّن، والمعنى الأبرز في (شمخ) هو الارتفاع.

(1) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 680، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 276، والبقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 175، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 194.
(2) القشيريُّ، لطائف الإشارات: 3/ 673.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 80.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جبل).
(5) الرّاغب، المفردات: (جبل).
(6) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رسو).
(7) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 419.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شمخ).

ومن هنا نستطيع أن نتلمَّس سرَّ إيثار التَّعبير بالجبال في قوله تعالى أوَّلَ السّورة: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾، وبالرَّواسي الشّامخات هاهنا في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾؛ ذلك أنَّ التَّعبير بالجبال أوثر في سياق ذِكر أحداث يوم القيامة وأهوالها؛ إذ تذهب هذه الأحداثُ العظيمة بصلابة الجبال (الغليظة)، فتَنْسِفُها بالتَّفتيت، فتجعلها كثيبًا مهيلًا، ثمَّ هباءً مُنْبَثًّا، فكان التَّعبير بما يدلُّ على الغِلظ أنسبَ لإبراز المفارقة.

أمّا الرُّسوُّ والشُّموخ؛ فأوثِرا في سياق الامتنان بخَلْقِ الأرض وتسخير ما عليها، فرُسوُّ الجبال يُثَبِّت الأرض، ويحفَظُها مِن الاضطراب، وشموخُها وارتفاعها يتسبَّب في نزول مياه الأمطار[1]؛ "إذ إنَّ هذه الجبال تنزل الأمطار عليها، وترتَطِمُ بها السُّحب الرُّكاميَّة، ويحدث مِن ذلك السُّيول الجارفة التي تشقُّ طريقَها في الأرض، وتتكوَّن الأنهار العذبة، فيسقي الله منها الإنسان والحيوان، وينبت الزَّرع، ويدرُّ الضَّرع، وتحيا الأرض بعد موتها، وذلك ممّا يدعو إلى التَّبصُّر والاعتبار، وجاء قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾، أي: عذبًا سائغًا شرابُه، جاء كالأثر الطَّيِّب المبارك المترتِّب على تذكير الله لهم بنعمة خلق الجبال وإيجادها"[2].

"وهذا امتنان بخلق الجبال؛ لأنَّهم كانوا يأوون إليها، وينتفعون بما فيها مِن كلأ وشجر، قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النّازعات: 32 - 33]"[3]، "فهو امتنان منه سبحانهُ على عباده في معرض ذكر النِّعم الكبيرة المنسيَّة"[4].

معنى (الواو) ودلالتُها في ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾:

الواوُ عاطفَةٌ، وجملة: (أَسْقَيْناكُمْ) معطوفة بالواو على جملة (جَعَلْنا)[5]؛ لِما بينَهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن، فإنَّهما متَّحدتانِ في الخبريَّةِ، وبينهما تناسُبٌ لفظًا ومَعْنًى، فأمّا اللَّفظ؛ فاشتراكُهما في الفِعليَّة والماضويَّةِ، واتِّحاد المسنَدِ إليه فيهما، وأمّا في المعَنى؛

(1) عبد الرحمن ابن حسن، تفسير القرآن: 2/ 583.
(2) مجمَع البحوث، التَّفسير الوسيط: 10/ 1732.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 434.
(4) مأمون حموش، التَّفسير المأمون: 8/ 303.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 338، وبهجت صالح، الإعراب المفصَّل: 12/ 299.

فذِكْرُ الماءِ عقيبَ ذكر الجبالِ؛ "لأنَّها تنحَدِرُ منها المياهُ تجري في أسافلها، وهي الأوديَةُ، وتقرُّ في قرارات وحياض وبحيراتٍ"[1].

عطفٌ للمناسَبة، تحسُن بهِ بينَ المِنَن المعاقَبة

سرُّ التَّعبير بـ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾، ونكتةُ إسنادِهِ إلى نونِ العظَمَةِ:

قوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾، أي: "جعلناه سقيًا لكم، ومكَّناكم مِن شربه، وكذا مِن سقيه دوابكم ومزارعكم"[2]، ومِن هنا عُبِّر بالإسقاء دون السّقاء؛ لأنَّ (أَسْقَيْناكُمْ) فيه معنى التَّمكين مِن الشُّرب والسَّقي، أمّا (سقيناكم)؛ فهو للشَّفة، أي: للشُّرب فقط، "قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: 21] للشَّفة، وما كان للشَّفة؛ فهو بغير ألفٍ، وفي لغة قليلةٍ قَد يقول للشَّفة أيضًا: أسْقَيْتُه"[3].

تمكينٌ مِن الشُّرب والإسقاءِ؛ لتَعظُمَ المنَّة بالعطاءِ

وأمّا إسناده إلى نون العظمةِ؛ فإنَّه "لمّا كان مِن العجائب الخارقة للعوائد فوَرانُ الماءِ الذي مِن طَبْعِه أن يغورَ لا أن يفور لِما له مِن الثِّقل واللَّطافة، التي أفادته قوَّة السَّريان في الأعماق، وفي كون ذلك منه مِن موضع مِن الأرض دون آخر، وكونه مِن الجبال التي هي أصلُ الأرض ومِن صخورها غالبًا؛ دلالة ظاهرة على أنَّ الفعل للواحد المختار الجبّار القهّار لا للطَّبائع؛ قال سبحانه: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾، أي: جعلنا لكم بما لنا مِن العظمة شرابًا لسَقْيِكُم وسَقْيِ ما تريدون سقيَهُ مِن الأنعام والحرث وغير ذلك"[4].

نكتةُ تنكيرِ ﴿مَّآءً﴾، ودلالةُ وصفِهِ بـ ﴿فُرَاتًا﴾ دون غيره:

التَّنكير في ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ يحتمل التَّفخيم والتَّبعيض[5]، أمّا التَّفخيمُ؛ فواضحٌ لعِظَمِ المنَّة عليهم، ولدلالة ذلك على عظيمِ القدرة.

الماءُ أصلُ الحياةِ، وهوَ منَّةٌ عظيمة مِن الله جلَّ في عُلاهُ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 434.
(2) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 286.
(3) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 562.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 175.
(5) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 680، وابن عادل، اللُّباب: 20/ 76، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 434.

وأمّا التَّبعيض؛ فلقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النّور: 43]، وفيها ماءٌ فُرات أيضًا، بل هي معدِنُه ومصبُّه، فهذا مُفهِم للتَّبعيض، والقرآنُ يفسِّر بعضُه بعضًا.

وأمّا قوله ﷻ: "﴿مَّآءً﴾؛ فاسمُ جنسٍ متشابه الأجزاء، يشمل القليل والكثير"(1)، "والفُرات: الصّافي العذب، ولا يقال للملح فرات، وهي لفظة تجمع ماءَ المطرِ ومياهَ الأنهار"(2)، وقوله تعالى: "﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾، أي: عَذْبًا زُلالًا مِن السَّحاب، أو ممّا أنبعه اللّه مِن عيون الأرض"(3)، "عظيمًا عذبًا سائغًا، وقد كان حقيقًا بأن يكون مِلْحًا أُجاجًا لما؛ للأراضي المُمْسِكَة له مِن ذلك"(4).

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكَفتُ والطَّيُّ:

في الكفتِ جمعٌ وضـــمٌّ، وفي الطَّيِّ إدراجٌ

(طوي) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إدراج شيءٍ حتّى يُدرَجَ بعضُه في بعض، يقال: طويت الثَّوبَ والكتابَ طيًّا أطويهِ(5)، والطَّيُّ: ردُّ بعضِ أجزاءِ الجِسم على بعضِه الآخر(6)، وهو نقيضُ النَّشْر(7)، ويُعَبَّر بالطَّيّ عن مُضيِّ العُمر، يقال: طوى اللّه تَعالى عُمرَ فلانٍ(8).

وأمّا (كفت)؛ فأصلٌ صحيح، يدلُّ على جمعٍ وضمٍّ(9)، ومِن ذلك قولهم: كَفَتُّ الشَّيءِ؛ إذا ضممتَهُ إليك(10)، فالكَفْتُ في اللُّغة: الضَّمُّ

(1) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 519.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 419.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 299.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 176.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوي).
(6) السَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (طوي)، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 159، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طوي).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (طوي).
(8) الرّاغب، المفردات: (طوي).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفت).
(10) الأزهريُّ، تهذيب اللغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كفت).

والجَمع[1]، والكِفات: اسم للشَّيء الذي يُكْفَت فيه، أي: يُجمَعُ، ويُضَمُّ فيه، يقال: كَفَتَه يَكْفِتُه، أي: جَمَعَه، وضَمَّه[2]، فالكِفات: اسمٌ جاء على صيغَةِ الفِعال مِن: كَفَتَ؛ إذا جَمَعَ، ومنه سُمّيَ الوعاءُ: كِفاتًا، كما سُمّي ما يَعي الشَّيء: وِعاءً، وما يضمُّ الشَّيء: الضِّمام[3].

ولأنَّ اللّه ﷻ جعلَ الأرضَ تَجمَعُ الأحياءَ، وتضمُّهم على ظهرِها والأمواتَ في بطنِها[4]؛ أوثِر لفظُ (الكَفْت) دون (الطَّيِّ) في قول اللّه ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾، أي: ألم نَجْعَل الأرضَ كِفاتَ أحيائِكم وأمواتكم تكْفِت أحياءَكُم في المَساكِن والمنازل، فتضمّهم فيها، وتَجْمَعُهم، وأمواتَكم في بطونها في القبور، فيُدفَنون فيها[5]، فالأرض تَضمُّ الأحياءَ إلى منازلِهم والأمواتَ في قُبورِهم[6].

والكَفْتُ أيضًا: تقليبُ الشَّيء ظَهرًا لبَطْنٍ، وبطنًا لظَهْرٍ، وانْكَفَتوا إلى منازلِهم، أي: انقَلَبوا[7]، فيكون معنى الكِفات على ذلك في قول ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾: أنَّهم يتصرَّفون على ظهرها، وينقلبونَ إليها، ويُدفَنون فيها[8].

الفُراتُ والعَذْب والزُّلال:

العَذْب: الماء الطَّيِّب[9]، ويقال: عَذُبَ الماءُ يَعْذُبُ عُذوبةً، فهو عَذْبٌ، أي: طيِّب[10]، وهو من المَنع؛ لأنَّ الماءَ العَذْبَ يعذب العطشَ، أي: يمنعه[11].

والماء الزُّلال: السَّريعُ النُّزولِ والمَرِّ في الحَلْق، وزَلَّ الماءُ في حَلْقِه يَزِلُّ زُلولًا، أي: ذهبَ، وقد سُمّي الماءُ العَذْبُ الصّافي الخالص زُلالًا[12]؛ لأنَّ هذا كلَّه يجعله سَلِسَ المرورِ في الحَلْقِ سريعَه[13].

(1) الواحديُّ، البسيط: 23/ 90، والبغويُّ، معالم التَّنزيل: 8/ 305، والقرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 161.
(2) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 10/ 636، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 432.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 432.
(4) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 179.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 133.
(6) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 161.
(7) الخليل، العين: (كفت).
(8) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 161.
(9) الجوهريُّ، الصِّحاح: (عذب).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عذب).
(11) السَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (عذب).
(12) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زلل).
(13) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زلل).

والفُراتُ: أشَدُّ الماءِ عذوبةً[1]، أو أعذَبُ المياه[2]، وهو قامِعٌ للعطش من فرط عذوبتِه[3]، وقد يكون مأخوذًا من مقلوب (رفت) بمعنى: كَسَرَ، فيكون سُمّي بذلك؛ لأنَّه يكسِر سَوْرَةَ العَطَش[4].

الـفـراتُ أعْـذَبُ المياه، والعَـذْبُ طيِّبُها، والزُّلالُ سَريـعُها نـزولًا ومُرورًا في الحَلْقِ

وقال السَّمين الحلبيّ: "ويقال: سُمّيَ الماء الحلوُ فراتًا؛ لأنَّه يَفْرُتُ العطشَ، أي: يشقُّه، ويَقطعُه"[5].

وقد أوثِر لفظُ (الفرات) دون (العذب) و(الزُّلال)، في قول الله ﷻ: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾؛ لأنَّ هذا الماء كان حقيقًا بأن يكون مِلحًا أُجاجًا لِما للأراضي المُمْسِكة له مِن أملاح[6]، فوصْفُه بلفظ (الفُرات) إشارةٌ إلى عظيم قدرةِ الله ﷻ؛ إذْ لم يكن هذا الماءُ عَذْبًا فقط، بل هو أشَدُّ الماءِ عذوبةً، ولمّا كان المرادُ من الإسقاء إذهابَ العطش؛ أوثِر لفظُ (الفرات) الدّالّ على أنَّ هذا الماء قامِعٌ للعطش من فرط عذوبته، وقال ابن عطيَّة: "والفُراتُ: الصّافي، ولا يُقالُ لِلمِلحِ: فُراتٌ"[7]، والمعنى المحوريّ لجذر (الفرات): خُلوص الماء من المِلْح مع صَفائه من الكُدورَة[8]، وكَونُ هذا الماءِ على هذه الصِّفةِ دالٌّ على سهولةِ مرورِه في الحَلْق.

الشُّموخُ والارتفاعُ:

الشُّمـوخُ أخَـصُّ مِـنَ الارتـفـاعِ مُطْلَقًا

الفرق بينهما أنَّ الشموخَ ارتفاعٌ خارقٌ للأفُق مع رُسوخِ الأصل[9]، فهو أخصُّ من الارتفاعِ، ولذا أوثِر لفظ (الشُّموخ) دون (الارتفاع)

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فرت).
(2) الأزهريُّ، تهذيب اللغة: (فرت).
(3) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 128.
(4) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (فرت)، و(رفت).
(5) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 8/ 490، والسّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ: (فرت).
(6) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 176.
(7) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 5/ 419.
(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرت).
(9) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شمخ).

في قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَمِخَٰتٍ﴾، وذُكِر في الآية ما يدلُّ على الثَّبات الدّالّ على رسوخ الأصل، وهو قوله تعالى: ﴿رَوَاسِيَ﴾، يقال: رسا الجبلُ يَرسو؛ إذا ثبتَ أصلُه في الأرض[1].

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (رسو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"